

## حوار حول الفساد والإفساد

شخصيات المحاوره:

صونيا

سليمان

حسام

هيام

صونيا: يسرني ان استقبلكم في هذا الصالون الأدبي المتواضع. كوكبة من المفكرين الإبداعيين،الذين نذروا أقلامهم للمساعدة على بناء مجتمع مدني عقلاني،يستنهض حضارتنا من كبوتها التي استمرت ستة قرون ونيّف.علنا نستطيع اللحاق بموكب الحضارة العالمية التي تجاوزت ثورتها الصناعية بالدخول في ثورتها الالكترونية. ونحن لا زلنا عاكفين على أصنام فكرنا السلفي وكأنه لا جديد تحت وجه الشمس سليمان: على المثقفين ان يعيشوا حياة فكرية معاصرة للواقع بغضّ النظر عن تعدد وجهات النظر في تناول قضايا هذا الواقع وشؤونه وشجونه

هيام: خطيبتنا المميّنة أننا نرفض واقعنا في الحاضر ونعود لننماهي مع ماض نحن نلوّنه بألوان رغباتنا دون ان نقرأه قراءة نقدية لنعرف حقائقه من أوهامه وأباطيله

حسام: علينا ان لا ننسى ان البيئة العقلية لأي أمة من الأمم تعتمد على الحياة الطبيعية والحياة الاجتماعية لهذه الأمة. ولهذا يجب ان يكون الدين نابعا من صميم مشاكل الناس وحاجاتهم الى الإصلاح. فالدين ليس الا انعكاس للبيئة التي أتى إليها. منسجما مع واقعها، واستعداد أناسها للفهم والتعبير والتطور والارتقاء

صونيا: مشكلتنا أننا لا نملك إلا فكرا دينيا ننسج حياتنا على منواله متجاهلين ما حصل في العالم من حولنا من ثورات تكنولوجية ومعلوماتية ومن اكتشافات علمية،فنحن آخر من يهتم بالنمو الاقتصادي المتوازن مع النمو السكاني وآخر من يفكر بمشاكل البيئة وصيانتها من التفتت والتملّح والتصحرّ

هيام: بل آخر من يفكر في صيانة كيان الوطن من التفتت والتصحرّ.فها هي العقول تهاجر ولا يبقى في البلد الا الملوّحين بالتهديد وحملة السواطير وقاطعي الأرزاق والأعناق

هيام: الأديان وإن تباينت أساليبها وتعددت أشكالها يجمعها هدف واحد هو معرفة الله موجد هذا الوجود ومنظّمه على قوانين كل سبب فيها يتبع سببه

سليمان: هناك فرق بين الدين والعقيدة فالدين ذا طابع شمولي انساني عام. أما العقيدة فهي سلسلة من التكاليف المادية والفرائض الطقوسية المنغلقة على ذاتها والتي لا تثمر إلا تفرقة الناس عن بعضهم وايهامهم بأنهم مختلفون لا تجمعهم مصالح عليا وغايات موحدة. بل إنني لأعتقد ان العنف موجود في كل نفس سكبت في قوالب العقائد منذ الصغر وهو كالظل لا يفارقها بل تستبطنه داخليا ولا يظهر إلا في ظروف أزمات اقتصادية وصراع سياسي اجتماعي يهيء لها المسرح المناسب للظهور .

حسام: عندما كنا في جاهليتنا "كما يزعم البعض" كان الشعر ديننا وديندنا فأعطانا الشعر سلّم قيم اخلاقية انتجت رجالا فرسانا ونساء حرائر، وطموحات لا حدود لآفاقها فكم حاجتنا ماسة اليوم الى حكمة زهير، وفروسية عروة، وشجاعة عنتره، وكرم حاتم، وجماليات امرئ القيس .

صونيا: لا تذهبوا بعيدا فنحن مجتمعون اليوم لنتحاور في مفهوم الفساد والإفساد وأسبابه ونتأججه وعلني اقترح عليكم بداية ان نعرّف الفساد تعريفا منطقيا دقيقا

سليمان: إنّ المفهوم الفاسد برأيي هو المفهوم الذي لا يستقيم لمنطق العقل ولا يتماهى مع ما انطبع في غرائز العقول من البديهيات التي نبرهن بها الاشياء وهي ليست بحاجة الى برهان .

حسام: ان بداية الفساد عدم وجود رؤية بذهن الشاب لحياته المستقبلية يرافقها عدم وجود خريطة طريق توصله الى تجسيد رؤيته واقعا عملائيا على أرض المجتمع

سليمان: رأي عميق ومنطقي.. دعني أزيد عليه فأقول إنّ ما قام به الغرب ولا زال من حداثة وعولمة، فصلت بين المعرفة والفضيلة، فكثرت المعرفة حتى الفيضان، وشخّ نبع الفضيلة حتى تصحّرت الأنفس وأجذبت الضمائر. هذا الفصل بين المعرفة والفضيلة "وهما في الأساس وجهان لحقيقة واحدة" جعل المعرفة مطيئة لشهوة السيطرة واغتصاب خيرات الشعوب المستضعفة فزادت من قوة القوي حتى جعلته جبارا جشعا جائعا باستمرار لا يشبع ولو اطعمته كل نتاج الأرض. ظمئا لا يرتوي ولو سقيته كل أنهار الذهب الأسود والأصفر والأبيض

هيام: انها غريزة التملك التي أفلتت من عقالها فحولت الانسان الى وحش مفترس ليته يقتل عن جوع ليأكل فقط، ولكنه يقتل ليتلذذ بتعذيب ضحيته واستعراض قوته وطباعه العدوانية

صونيا: تحوّل الإنسان من كائن عاقل حرّ مسؤول اجتماعي بالفطرة الى كائن مستهلك حتى أقصى مراتب الجشع في الاستهلاك هو الذي هيأ التربة النموذجية للفساد والإفساد

حسام: هذا الكائن المستهلك أمره عجيب غريب. فإذا امتنع فمه عن الأكل نتيجة التخمة أكل الدنيا بعينه. وإذا امتعت أعضاؤه الجنسية عن الممارسة ارتواء أو عجزا اغتصب كل نساء الارض بخياله المنحرف وأحلامه الشاذة

سليمان: لماذا لا نقول ان الفضيلة هي الوقوف عند مقادير الاشياء ومحاكاة الشيء لطبيعته التي فطر عليها

صونيا: سليمان مغرم بالتنظير الفلسفي الذي يزيد المعنى انغلاقا بدل ان يفسره لماذا لا توضح فكرتك ببعض الأمثلة؟

سليمان: حبًا وكرامة ووفرة في الأمثلة فالطبيعة التي فطر عليها اليسر مثلا هي الكرم والعطاء، والطبيعة التي فطر عليها الفقر هي التعفف والإباء، والطبيعة التي فطرت عليها القوة هي المروءة والتسامح، والطبيعة التي فطرت عليها السلطة هي العدالة ووضع الامور في نصابها الصحيح، والطبيعة التي فطرت عليها المحبة هي الإخلاص والتفاني

صونيا: هل هذا يعني ان الفساد سببه عدم محاكاة تصرفات الانسان لما فطرت عليه نفسه ولما انطبع في جوهرها من حقائق بديهية؟

حسام: هل وصلنا الى زمن أصبح فيه الإنسان المحصّن عن الإباحة الجنسية انسانا متخلفا لا يماشى روح العصر بالحدائث والعولمة؟

هيام: ولكن الفيلسوف الانكليزي هوبز قال بأن طبيعة الانسان هي طبيعة ذنبية فهو يتلذذ بانتزاع الأشياء من الآخرين تعديا واغتصابا ويكره ان يأخذها محاورة وتفاهما وتبادلا. وهو بطبعه ينشد السيطرة والتعدي واحتكار الخيرات لنفسه وذريته فهذه هي لذته وسعاده.

سليمان: الانسان ابن الوجود وفي الوجود راحته. وهذا ما قصدته أنه على المثقفين ان يعيشوا حياة فكرية معاصرة للواقع لأن المثقف يجب ان يكون من الناس بمثابة البوصلة من المسافر تحدد له الإتجاه الصحيح.

حسام: في ظل أنظمة ديكتاتورية تصدر عقول الناس وحررياتهم يغدو المثقف في محنة لا يحسد عليها، فهو إما ان يكون بوقا دعائيا لأيدولوجية الديكتاتور ليأكل المن والسلوى وإما ان يكون عاشق وفارس حرية وعدالة فمصيره الى السجون وفي حالات الرحمة البطالة والفقر، او يهرب الى بلاد بعيدة يناضل فيها من البعيد ولكنه يفقد تواصله مع جمهوره وبالتالي يفقد التأثير والفاعلية

هيام: لا تنسى الديكتاتورية الدينية التي تصدر عقول الأفراد وتعطيهم في البديل عقلا جمعيا فيصبحون كالبيغاوات يرددون ما يقوله المرجع الديني الأعلى. ولا تنسى أيضا ترابط الديكتاتوريين

صونيا: قمة الفساد برأيي هي الظلم والاستبداد فأبي فساد يعادل فساد أن تصدر عقل إنسان وتمنعه ان يكون إنسانا أخلاقيا يختار أعماله بحرية تامة ويتحمل مسؤولية اختياراته.

سليمان: أصابت صونيا فلا أخلاق دون عقل حرّ مسؤول. ولهذا كانت الأنظمة الديمقراطية هي الأكثر عدالة رغم شوائبها الكثيرة وخصوصا في دول العالم الثالث.

حسام: تحويل الإنسان الى سلعة هي قمة الفساد برأيي وهذا ما فعلته ولا زالت الرأسمالية الحديثة المتوحشة. انها لا تنتج ما يحتاج اليه الإنسان في طبيعته الأصلية بل تنتج ما يدرّ عليها الأرباح حتى ولو كان الإنسان ضحية هذا الانتاج. فأكبر قدرات

مالية في عصرنا الحاضر هو ما تملكه مافيات المخدرات ومافيات صناعة الأدوية  
المغشوشة فميزانياتها تفوق ميزانيات كل دول العالم الثالث غير البترولية

سليمان: رغم موافقتي على طروحاتكم دعوني أقول ان ينبوع الفساد يكمن في نظرة  
الانسان الى غاية وجوده وكيفية تقييمه لنفسه

صونيا: نعود الى مقولة " لو بغير الماء حلقي شرق " وضّح ايها الصديق سليمان  
فكلما خرجنا من متاهة أدخلتنا في متاهة جديدة

سليمان: على الإنسان أن يعرف أنه الموجود الوحيد في هذا الوجود الذي يعقل ذاته  
ويعقل بقية الموجودات ويعقل معنى الوجود ومعنى مبدئه أي الخالق تعالى. ولهذا  
عليه ان يقيّم نفسه على أساس أنه ضمير هذا الوجود وغايته ومبرر كينونته فلولا  
لما كان لهذا الوجود من معنى. ينتج عن ذلك أن الإنسان لا يحق له ان يعبث بعقله  
ولا يحق له ان يعبث بقوانين موجودات هذا الوجود لأنه الوحيد القادر على عقلها  
وكذلك لا يحق له ان يسمح لأي كان ان يعبث بعقله، ما اقصد ان العبثية هي ينبوع  
الفساد في هذا الكون. فالإنسان العبثي لا يعترف بوجود قوانين طبيعية ولا بديهيات  
عقلية ولا يحترم القوانين الوضعية العادلة. وبالتالي يعتبر أن كل ما يلد له هو شيء  
محق وعادل. فإذا كان لا يهوى الحب إلا اغتصابا اعتبر الاغتصاب قضية محقة  
وعادلة، وإذا كان يتلذذ بحقنة مخدرات اعتبر المخدرات إليها يجب ان تقدم له  
القرابين والأضحيات. الإنسان العبثي لا يمكن ان يكون كائنا اجتماعيا يفعل  
بالآخرين وينفعل بهم ايجابيا. ولكنه مستكبر متعجرف منحرف يسخر كل شيء لما  
يتوهمه لذاته وسعادته

حسام: هل الانسان العدمي أفضل حالا من العبثي؟ وأعني بالعدمي الانسان المقتنع  
بأن نفسه تموت بموت جسده فهذا الإنسان ينطلق من فكرة أن هذه الحياة هي  
فرصته الأولى والأخيرة، ولذلك لماذا لا يستغلها بإشباع ميوله في التملك والسيطرة  
والتحكم بالآخرين وتسخير كل شيء لمصلحته الفردية طالما الظروف تسمح له  
بذلك

سليمان: أرى مما تقوله أن اسباب الفساد هي نفسها نتائجها. فاستبداد مراكز القوى السياسية والدينية وتكاتفهما، وإن اختلفت المقاصد على سلب عقول الناس وحررياتهم، هو سبب أساسي من أسباب الفساد وبالتالي هو نتيجة حتمية للفساد أيضا

صونيا: انا لا افهم لماذا يدب الفساد في الأنظمة الاستبدادية فالفساد هنا في المسؤولين وليس في جماهير الناس

حسام: هذا خطأ جسيم لأن من يرضى ان تسلب منه إنسانيته دون ان يدافع عنها. مهما غلت التضحيات هو عبد يملك أخلاق العبيد وليس أخلاق الأحرار الأسياد

صونيا: وهل أخلاق العبيد فاسدة؟

حسام: بالطبع هي فاسدة، لأن العبد مدهن متملق كاذب لا تهمة الحقيقة بل يهيمه إرضاء سيده بأي أسلوب من الأساليب فالغاية عنده تبرر الوسيلة. حتى أننا نستطيع أن نقول أن العبد هو شبح إنسان وليس إنسانا سويًا. فهو لا يملك عقلا غايته اكتشاف الحقيقة والتناغم معها، بل يملك معلومات ومعارف جزئية تساعده على إيجاد أخط الوسائل لإرضاء سيده

هيام: ولكن في عصر العولمة حيث الإقتصاد إستهلاكي والثقافة إستهلاكية ألا نعتبر ان كل الناس اصبحوا عبيدا لمذاتهم ونزواتهم والأنماط الاستهلاكية التي أدخلوا فيها برضاهم وبغير رضاهم؟

سليمان: لا شك ان ثقافة العولمة تحاول ان تبني عقلا جمعيا شموليا لكل أفراد الجنس البشري بحيث تحولهم جميعا الى دجاج مزارع لهم نفس الخصائص ونفس البصمات المادية والمعنوية. ولكن هذا لا يلغي أن الإنسان عليه واجب التصدي لهذه المحاولات ليحمي إنسانيته من العبودية. وهنا دور المثقفين في تحريض الناس على التفكير الحرّ والنقد المنهجي الحرّ والإختيارات الحرّة دون الرضوخ لمباديء الترغيب والترهيب. فالأسرة مثلا يجب ان تتشكل على أساس الإحترام المتبادل والثقة المتبادلة والتعاطف المتبادل بين الرجل والمرأة وإلا لا مبرر لوجودها ولا

يجوز هنا ان يختبئ المظلوم تحت عباءة القضاء والقدر لكي يبرر عدم تحصين كرامته الشخصية بالتعبير عن نفسه تعبيرا عقلانيا حرا مسؤولا

صونيا: هل معنى ذلك أن الراضخ للإستبداد هو شريك المستبد في استبداده؟

حسام: كثير من الناس تتشّف أذانهم طربا وهم يسمعون صلصلة قيود الحديد في أعناقهم وأيديهم وأرجلهم لقد هانت عليهم نفوسهم حتى ان جراح انسانيّتهم أصبحت ميّنة فلا عقل يفكّر ولا إحساس يشعر

هيام: معنى ذلك أن أيّ رضوخ لأوامر تأتي من فوق هو شكل من أشكال العبودية.

حسام: أليست أوامر السماء أوامر فوقية إن لم نرضخ لها اعتبرنا المجتمع مهرطقين أو مارقين؟

سليمان: السماء لم تأمرنا بشيء ولكنها أعطتنا عقولا تفكّر وحقائق بديهية منغرزة في جواهر تلك العقول. إذا نحن تناغمنا معها كنا عن حقّ وحقيق أبناء السماء أي أبناء السموّ عن صلصال أدمتنا والانتماء الى ذلك القبس الإلهي الذي هو جوهر وجودنا والذي إسمه النفس العاقلة. بل اني أقول أكثر من ذلك. وهو أن أمر الله طلب وليس أمرا ونهيه تحذيرا وليس نهيا. وإلا لما استطاع أحد ان يعصى الله ولتساوى في ذلك جميع الناس فلا يعود هناك خير وشرير وفاضل ومفضول بل أزيد على ذلك وأقول أنه لو كانت أوامر الله أوامر ونواهيه نواه لغدا الإنسان "روبوت" ولم يعد إنسانا لأن هوية الإنسان كرسّت بالعقل الحرّ المسؤول

صونيا: وكيف نعبد الله إذن؟

سليمان: عبادة الله هي معرفته ومحبته والسفر المتواصل اليه عبر سراط العقل المستقيم وليس عبر التكاليف المادية أو أي شيء آخر. لأن الله مستغن عن عباداتنا فهي لا تنقص منه شيئا ولا تزيد عليه شيئا ولكن الإنسان بتناغمه مع منطق العقل الذي هو جوهر الدين يحسن إلى نفسه، وبالمخالفة يسيء إلى نفسه تحت مبدأ لكل فعل ردّة فعل تساويه في القوّة



هيام: هذا يعني ان كل موجودات هذا الوجود تحكمها قوانين دقيقة ولا شيء وليد الصدفة؟

سليمان: ولا شك في ذلك فالموجودات غير العاقلة تحكمها قوانين جبرية منغزة في جواهر وجودها. والعقل الإنسان تحكمه قوانين اختيارية يستطيع طاعتها فيكافأ بالمعرفة والسعادة أو مخالفتها فيعاقب بالجهل والتعاسة

صونيا: إذن الانسان بتصرفاته هو الذي يخلق قدره بيديه؟

حسام: وهل تريدان أن يكون القدر شماعة نعلق عليها كل تصرفاتنا الخاطئة ونتصل من تحمل المسؤولية؟ ألا تلاحظين أنه في ظلال الأنظمة الإستبدادية فقط تولد مقولة القدر المتحكم بمصير الإنسان كمبرر لمصادرة عقله وحرية

صونيا: إذن رأس الفساد هو الظلم الذي يصادر عقول الناس وحررياتهم ويحولهم إلى عبيد يؤمرون فيأتمرون

سليمان: رأس الفساد هو ان يضيع الإنسان هويته كإنسان ولذا على الإنسان ان يعرف نفسه ويقيّمها حقّ قيمتها

حسام: الإنسان خليفة الله ووديعته في هذا الوجود ولذا يجب ان يكون الله مثله الأعلى وليس أي شيء آخر

هيام: وعلى الإنسان ان يبقى متواصلا باستمرار مع الله عبر قوانين العقل وما انغرز في جوهر نفسه من بديهيات

سليمان: بل على الإنسان ان يسعى باستمرار لمعرفة الله وكلما ارتقى من درجة الى درجة في تلك المعرفة ازداد سعادة وغبطة وانسانية. وبما ان الإنسان مهما بذل من مجهود لا يستطيع ان يعرف الله معرفة كلية فهو يعرفه على قدر منزلته فيه. كان على الإنسان ان يتواصل مع الله عبر المحبة فيكون دائم الشغف بالله دائم الشوق له دائم الانجذاب اليه. حتى يرى الله على مرآة نفسه بل حتى يرى الله متربعا على عرش قلبه.

حسام: لا شك ان محبة الله أكثر شمولية من معرفته لأننا لا نستطيع ان نعرف الله الا بعقولنا دون القدرة على الإحاطة بمعرفته. ولكننا نستطيع ان نحب الله بكل ذرة من كيائنا، نحبه بعقولنا نحبه بأحاسيسنا ، نحبه بغرائزنا، يخالط حبه فينا اللحم والعظم ويجري مع الدم عبر العروق

صونيا: دعوني أناجي حبيبي الله بلهفة وشغف وخشوع، أقول له: أتوجه اليك بعقلي وقلمي وكل ذرة في كيائي، وأناديك مستجيرة بحماك. ما أسعد قلبي أحيان يناديك يا حبيبي، فهو دائم الشوق لا عن بعد. حبيبي بالبعد أدنيتني وبالفاء أحييتني. وبنارك الموقدة التي تطلع على الأفئدة أطفأت ظمأ قلبي الملتهب

حسام: وأنا بدوري سأناجي حبيبي الله ،حبيبي عبر كل الأزمنة والدهور، حبيبي لا يحبك هذا الحب إلا الذين كشفت عنهم الأغطية، فأبصارهم بصرت بصائرهم فعرفوا فيك الحسّ والاحسان. عرفوا كمال الجمال.. شربوا من بحور الخلق والابداع فغدوا خلاقين مبدعين.. شاهدوا بعض اشعاعات جمالك في المخلوقات، فهموا بها لا لذاتها بل لما استودعته من نور جمالك الأزلي

سليمان: وأنا بدوري سأناجي حبيبي الله.. كلما ناجيتك أشعر بالقرب منك.. مني أشاهدك على مرآة نفسي فأهيم وجدا بك.. بذاتي.. ويتصاعد الشوق إلى أقصى مدى تحتمله آفاق نفسي وصلصال جسدي الكثيف فأرجع وأعاود البحث عن ذلك الكنه المستور.. فأسأل نفسي وهي في فيض نشوتها هل هو اقتباس جذوة من نور الحبيب؟ أم هو العشق الدائم في إشراقه؟

حبيبي، إني لأعجب من هذا الجسم النحيل الفاني كيف يضيء بهذا النور الشعشعاني الخالد.

هيام: كلكم يناجي الله ويدّعي الحب، هل قال أحد منكم لنفسه بأن حبيب الله لا يجوز له أن يظلم نفسه ويظلم الآخرين، فظلم الانسان لنفسه هو في مخالفته لقوانين العقل وقوانين الطبيعة. وظلم الانسان للآخرين هو في محاولة اغتصاب عقولهم وحررياتهم وإقفال أبواب التطور والإرتقاء في وجوههم، دائما أسأل نفسي كيف يدّعي

البعض معرفة الله ومحبته وهم يعيشون في الأرض فسادا باستغلالهم لغباء الأغبياء  
وضعف الضعفاء وتخاذل المتخاذلين؟

حسام: حبيب الله عاشق تناسق وتناغم يثمر جمالا.. عاشق تعقل واعتدال يثمر  
عدالة.. عاشق فعل وانفعال يثمر تفاعلا.. حبيب الله يحب الخير لنفسه ويحب الخير  
للآخرين.. يعرف ان سعادته جزء من سعادة الآخرين وكرامته جزء من كرامة  
الآخرين إنه يعرف معرفة يقينية أنه لا يستطيع ان يرى أنوار الألوهة على مرآة  
ذاته إلا إذا رأى ذاته على مرآيا الآخرين. حبيب الله شاعر بالفطرة يغني مجد  
الجمال لا وهم الإثارة.. يغني مجد البطولة لا وهم التعدي والاستقواء.. يغني مجد  
العدالة لا وهم الظلم والإستبداد.. إنه حكيم بالفطرة يعرف الحقيقة حذسا إذا لم  
تسغه علومه على معرفتها استدلالا واستقراء.. يعرف معنى الفضيلة حذسا وإن  
عجز عن شرحها للناس بالكلمات. إن نبضات قلبه متناغمة مع نبضات قلب الكون  
يرمته.. إنه الجزء الذي يحتوي كل خصائص الكل هكذا أفهم الحب الإلهي

سليمان: احباب الله لهم نور يمشون به بين الناس. فطوبى لمن أنعم الله عليه فأذاقه  
رشفة من كأس حبه، وجعله يسير بقدم الروح حتى تطوى صحاري البعد ويدخل في  
نعيم القرب والوصال. هناك سعادة النظام لا تعاسة الفوضى. سعادة التآلف لا تعاسة  
التنافر. هناك النور الذي يضيء ولا يحرق وليس النار التي تعمي الأبصار  
والبصائر.

صونيا: مع أحباب الله نعيش التآلف والتناغم والانسجام.. نتطهر بالحب فيغدو  
الكثيف لطيفا واللطيف إلى عالم اللطيف يرقى ويصعد.. ومع العبثيين والعدميين  
والمستبدين الظالمين لا شيء إلا الفوضى والتعدي والقهر واليأس والتخلف  
واغتصاب الحريات ومصادرة العقول

